المبحث الثاني

مراتب القدر على أربع مراتب

أولاً: مرتبة العلم:

الإيمان بعلم الله ﷻ المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عالمون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علاّم الغيوب[1].

والأدلة من القرآن الكريم كثيرة منها:

1 ـ قوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: 59].

---

(1) معارج القبول للحافظ الحكمي (1 / 920).

ومفاتح الغيب فسرها رسول الله ﷺ بأنها خمس لا يعلمها إلا الله وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: 34].

والآية دلت على أن الله ﷻ محيط علمه بجميع الموجودات بريها وبحريها وما تسقط من ورقة إلا يعلمها فهو يعلم حركة الجمادات، ومن باب أولى غيرها من الحيوانات وبني الإنسان المكلفين[1]، وقد أحاط علمه ﷻ بكل حبة كائنة في ظلمات الأرض من الأمكنة المظلمة أو النبات الذي في بطن الأرض قبل أن يظهر[2].

2 ـ وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ [الحشر: 22] أي: السر والعلانية، أو الدنيا والآخرة، أو المعدوم والموجود[3].

3 ـ وقال تعالى: ﴿لِّتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12]، فلا يخرج عن علمه شيء منها كائناً ما كان[4]، فإحاطته سبحانه بكل شيء علماً يدل على ثبوت صفة العلم لله المتصف به أزلاً والشامل لكل شيء[5].

---

(1) تفسير ابن كثير (3/ 260).
(2) فتح البيان، صديق خان (3/ 172)، القضاء والقدر للمحمود، ص: 56.
(3) تفسير النسقي (5/ 181).
(4) فتح البيان (9/ 474)، القضاء والقدر المحمود، ص: 56.
(5) لقضاء والقدر المحمود، ص: 56.

4 ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: 98].

فبعد أن أحرق موسى ـ عليه السلام ـ العجل، ونسفه في البحر، فبطل أن يكون إلهاً كما زعموا، فلما فعل ذلك وتبين لهم بطلانه، أخبرهم بمن يستحق العبادة وهو الله ﷻ، المتوحد بالألوهية، والذي قد أحاط علمه بجميع الأشياء[1].

5 ـ وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البَقَرَة: 216]، فعواقب الأمور لا يعلمها إلا الله[2].

6 ـ وقال تعالى: مجيباً الملائكة ـ بعد إخبارهم أنه جاعل في الأرض خليفة واستفهامهم ـ قال تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 30] أي: أنه سيكون في تلك الخليقة أنبياء، ورسل، وقوم صالحون، وساكنو الجنة[3]، فعلمه محيط بكل شيء.

7 ـ وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ: 3].

الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء، فالعظام وإن

(1) تفسير السعدي (5/ 185).
(2) تفسير ابن كثير (1/ 368).
(3) تفسير ابن كثير (1/ 368)، القضاء والقدر المحمود، ص: 57.

تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت؟ وأين تفرقت؟ ثم يُعيدُهَا كما بدأها أوّل مرّة فإنه بكل شيء عليم[1].

8 ـ وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: 32] ، أي: هو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم وتقع منكم، حين أنشأ أباكم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صُلبه أمثال الذّر، ثم قسمهم فريقين فريقاً للجنة وفريقاً للسعير، وكذا قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ قد كتب الملك الذي يُوَكَّلُ به: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد[2].

9 ـ وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العَنكبوت: 10] ، أي: أوليس الله بأعلم بما في قلوبهم وما تكنه ضمائرهم وإن أظهروا لكم الموافقة[3]؟

10 ـ وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجنّ: 28] .

ـ أدلة هذه المرتبة من السنة:

1 ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[4].

---

(1) صحيح تفسير ابن كثير (3/ 605).
(2) المصدر نفسه (4/ 318).
(3) المصدر السابق نفسه (3/ 457).
(4) البخاري رقم 2660.

2 ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها**»، قالوا: يا رسول الله: أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**». والشاهد قوله: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[1] بالنسبة لأولاد المشركين والمسلمين، ومعنى ذلك أنهم لو عاشوا فإن الله عالم بأعمالهم خيرها وشرها، فالله يعلم ما كان، وما لم يكن لو كان كيف يكون[2].

3 ـ وعن علي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً، وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: «**ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار**». قالوا: يا رسول الله، فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «**لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾[3]، إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: 10]، والشاهد قوله: «**ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار**» فالله علم أهل الجنة وأهل النار بعلمه القديم، فالحديث يدل على ثبوت العلم الكامل لله تعالى[4].

4 ـ وعن عائشة أم المؤمنين أن نبي الله ﷺ قال: «**اللّهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما**

(1) البخاري رقم 2658.
(2) القضاء والقدر د. عبد الرحمن المحمود، ص: 58.
(3) مسلم رقم 2647.
(4) القضاء والقدر د. عبد الرحمن المحمود، ص: 59.

اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[1].

5 ـ وقال ﷺ: «**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**»[2]، فاسم الله «العليم» يقتضي أنه سبحانه عالم بأرزاق العباد وآجالهم وأعمالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم والشقي منهم والسعيد قبل أن يخلقهم[3].

ثانياً: مرتبة الكتابة:

وهي أن الله تعالى كتب مقادير المخلوقات، والمقصود بهذه الكتابة: الكتابة في اللوح المحفوظ، وهو الكتاب الذي لم يفرط فيه الله من شيء، فكل ما جرى ويجري فهو مكتوب عند الله وأدلة هذه المرتبة كثيرة نذكر منها:

1 ـ قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38]، على أحد الوجهين، وهو أن المقصود بالكتاب هنا اللوح المحفوظ، فالله أثبت فيه جميع الحوادث، فكل ما يجري مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ[4].

2 ـ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: 105]. فأخبر ـ تعالى ـ

---

(1) مسلم، ك الصلاة رقم 770.
(2) صحيح ابن ماجه للألباني (2 / 332).
(3) المباحث العقدية، علي الكيلاني (2 / 880).
(4) القضاء والقدر د. عبد الرحمن المحمود، ص: 60.

أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة[1]. والآية دالة على مرتبة الكتابة عند من فسر الزبور بالكتب بعد الذكر، والذكر أمُّ الكتاب عند الله، وهو اللوح المحفوظ[2].

3 ـ وقال تعالى في قصة أسرى بدر: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: 68]، أي: لولا كتاب سبق به القضاء عند الله أنه قد أحل لكم الغنائم وأن الله رفع عن أمة محمد ﷺ، لمسكم العذاب[3]، فالآية دليل على الكتاب السابق[4].

4 ـ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: 70]. وهذه الآية من أوضح الأدلة الدالة على علمه المحيط بكل شيء، وأنه علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب الله ذلك في كتابه اللوح المحفوظ[5]، فالآية جمعت بين المرتبتين[6].

5 ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل: 75]، أي: خفية أو سر من أسرار العالم العلوي والسفلي، إلا في كتاب مبين، قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان ويكون إلى أن تقوم الساعة، فما من حادث جلي أو خفي، إلا هو مطابق لما كتب في اللوح المحفوظ[7]، فالآية دليل على الكتابة

(1) صحيح تفسير ابن كثير (3 / 177).
(2) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، ص: 60.
(3) تفسير السعدي (3/ 191).
(4) تفسير ابن كثير (5/ 448)، تفسير النسفي (3/ 389).
(5) المصدر والرقم نفسه.
(6) القضاء والقدر، ص: 60.
(7) تفسير السعدي (5/ 598).

السابقة لكل ما سيقع.

6 ـ وقال تعالى في آية جمعت بين مرتبتي العلم والكتابة: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: 61] ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ أي: ما يغيب عن علمه وبصره وسمعه ومشاهدته أي شيء، حتى مثاقيل الذر، بل هو ما أصغر منها، وهذه مرتبة العلم، وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [يونس: 61]: مرتبة الكتابة، وكثيراً ما يقرن الله ﷻ بين هاتين المرتبتين[1].

7 ـ قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12]، أي: جميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ، والإمام المبين هَهُنا: هو أم الكتاب[2].

8 ـ وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: 52، 53]، أي: مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: من أعمالهم ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مجموع عليهم، ومسطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها[3].

9 ـ وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ

(1) تفسير السعدي (3 / 366).
(2) صحيح تفسير ابن كثير (3 / 654).
(3) المصدر نفسه (4 / 335).

﴿ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: 51-52].

إن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدّر وهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى، أي: الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم إذا كان الأمر كما تقول لم يعبدوه بل عبدوا غيره؟ فقال له موسى في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن عَملَهمُ عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: 52] أي: لا يشذ عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئاً، يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئاً تبارك وتعالى وتقدّس وتنزه، فإن علم المخلوقات يعتريه نقصانان، أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء، والآخر: نسيانه بعد علمه، فنزه نفسه عن ذلك[1].

10 ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فَاطِر: 11].

الأدلة من السنة:

1 ـ قال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة**»، قال: «**وكان عرشه على الماء**»[2]، فالدليل من

(1) صحيح تفسير ابن كثير (3 / 115).
(2) مسلم، ك القدر رقم 2653.

الحديث قوله: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض، فالمراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له وقوله: «**وعرشه على الماء**» أي: قبل خلق السمٰوات والأرض[1].

2 ـ وعن عبد الله بن عباس ﷺ أنه: ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ: «**يا غلام إنّي معلمك كلمات ينفعك الله بهنّ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[2].

3 ـ ومن الأحاديث المشهورة حديث: «**أول ما خلق الله القلم**» وفيه: أن الله أمره بكتابة ما هو كائن إلى يوم القيامة، فعن أبي حفصة قال: قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**»[3]، فالرواية فيها دليل

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (16/ 203).
(2) سنن الترمذي (4/ 667) رقم 2516 حسن صحيح.
(3) سنن أبي داود، ك السنة، باب في القدر رقم 4700.

على مرتبة الكتابة حيث أمر الله القلم بكتابة ما هو كائن إلى يوم القيامة[1].

ثالثاً: مرتبة الإرادة والمشيئة:

إن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله، ﷻ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته الكونية شيء ومن الأدلة في القرآن الكريم:

1 ـ قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يسّ: 82].

أي: إنما يأمر بالشيء، أمراً واحداً لا يحتاج إلى تكرار إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له: ﴿كُن﴾ قوله: فيكون[2].

2 ـ وقد ورد في القرآن الكريم ـ في الحديث عن بعض الأنبياء وغيرهم ـ تعليقهم كل أمر بمشيئة الله ﷻ.

أ ـ فنوح عليه الصلاة والسلام، لما قال له قومه: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [هود: 32-33].

ب ـ وشعيب عليه السلام بعد ما طلب منه قومه أن يعود إلى ملتهم بيّن أنه لا يمكن أن يعود إلى ملتهم بعد أن نجاه الله منها هو والمؤمنون معه ولا ينبغي لهم ذلك إلا إذا شاء الله ذلك فقال: ﴿قَدِ

(1) القضاء والقدر، المحمود، ص: 65.
(2) صحيح تفسير ابن كثير (3/ 675).

﴿ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ﴾ [الأعراف: 89] ، فعلق أعظم شيء وهو الإيمان والكفر على مشيئة الله.

ج ـ ويوسف عليه السلام، قال لأهله بعد أن التقى بهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يُوسُف: 99].

د ـ وقال موسى عليه السلام للعبد الصالح: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: 69].

هـ ـ والله ﷻ وجه نبيه قائلاً: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۖ﴾ [الكهف: 23، 24].

فهذه الآيات تدل على استقرار عقيدة المسلمين ويقينهم بهذه المرتبة من مراتب القدر[1].

3 ـ قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: 26]، أي: أنت المعطي وأنت المانع، وأنت الذي ما شئت كان وما لم يشأ لم يكن[2].

4 ـ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ

(1) القضاء والقدر، المحمود، ص: 70.
(2) صحيح تفسير ابن كثير (1 / 338).

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عِمرَان: 6]، أي وهو الذي يصور الخلق في الأرحام كيف يشاء ذكوراً وإناثاً، أشقياء وسعداء مختلفين في صفاتهم وأشكالهم، حسناً وقبحاً[1].

5 ـ قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعَام: 125]، أي: ييسره له وينشطه ويسهله لذلك، ويوسع قلبه للتوحيد والإيمان به ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ [الأنعَام: 125] أي يجعل صدره ضيقاً، لا يتسع لشيء من الهدى ولا يخلص إليه شيء ما ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه[2].

6 ـ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣﴾ [السَّجدَة: 13].

7 ـ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ﴾ [الأنعَام: 35].

8 ـ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ﴾ [هُود: 118].

9 ـ قوله تعالى في معرض الحديث عن أهل الكتاب، ونهى النبي ﷺ على أن يتبع أهواءهم، وأمره أن يلتزم الحكم بما أنزل الله، مبيناً أن لكل من الأمم الثلاثة: اليهود والنصارى، وأمة محمد،

(1) القضاء والقدر، ص: 71.
(2) صحيح تفسير ابن كثير (2/ 69).

شريعة ومنهاجاً في كل من التوراة والإنجيل والقرآن، «وقد نسخ القرآن ما قبله» قال بعد ذلك: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة: 48]، أي: لجعلكم على شريعة واحدة، وكتاب واحد، ورسول واحد، لكن لما لم يشأ الله ذلك، بل شاء الابتلاء والاختبار، فكنتم على الحالة التي أنتم عليها[1]، فمشيئة الله مطلقة، والنافذ هو ما يشاؤه ﷻ فهذا دليل على مرتبة المشيئة[2].

أدلة هذه المرتبة من السنة:

1 ـ عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء**»[3]. فأوصى بالشفاعة وذلك فيما ليس بمجرم وضابطها: ما أذن في الشرع دون ما لم يأذن فيه[4]، ثم بين أن الله يقضي على لسان رسوله ما شاء، أي: يظهر على لسان رسوله بالوحي أو الإلهام ما قدره في علمه بأنه سيقع[5]، فهذا يدل على مرتبة المشيئة.

2 ـ قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»[6]، فقوله: من يرد الله به

(1) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، ص: 69.
(2) المصدر نفسه، ص: 69.
(3) البخاري، ك الزكاة، فتح الباري (3/ 299).
(4) فتح الباري (10/ 451).
(5) المصدر نفسه (13/ 452).
(6) البخاري، ك فتح الباري (1 / 164).

خيراً يفقهه في الدين، فيه إثبات مرتبة الإرادة، وأن الأمور كلها تجري بمشيئة الله تعالى ولهذا قال ﷺ: «**وإنما أنا قاسم والله يعطي**»، أي: إنما أقسم ما أمرني الله بقسمته، والمعطي حقيقة هو الله تعالى فالأمور كلها بتقدير الله تعالى، والإنسان مصرف مربوب، ومن الأحاديث الدالة على الإرادة حديث حذيفة بن أسيد الغفاري صاحب رسول الله ﷺ، رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ: «**إن ملكاً موكلاً بالرحم، إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بإذن الله لبضع وأربعين ليلة**... » الحديث[1]. فالله هو المريد الخلق الآدمي، والأحاديث الدالة على مرتبة المشيئة والإرادة كثيرة جداً[2].

3 ـ وعن ابن عباس ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، وقال النبي ﷺ: «**أجعلتني والله عدلاً، بل ما شاء الله وحده**»[3]، والحديث واضح الدلالة على إثبات مرتبة المشيئة، وأن الله تعالى له المشيئة المطلقة، وأن للعباد مشيئة خاضعة لمشيئة الله ـ تعالى ـ، والنهي في الحديث إنما هو عن قرن مشيئة الله بمشيئة الرسول ﷺ، حيث عطفها بالواو والتي هي لمطلق الجميع من غير ترتيب ولا تعقيب، والرسول مثل غيره من العباد، فالكل خاضعون لمشيئة الله، ومشيئتهم تابعة لمشيئة الله[4].

4 ـ وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: اللّهم اغفر لي إن شئت ارحمني إن شئت ارزقني إن شئت،**

(1) مسلم رقم 2645.
(2) القضاء والقدر، ص: 76 المحمود.
(3) مصنف ابن أبي شيبة رقم 6742.
(4) القضاء والقدر المحمود، ص: 75.

وليعزم مسئلته أنه يفعل ما يشاء لا مكره له»[1].

ففيه إثبات المشيئة لله ـ تعالى ـ فهو الغفور الرحيم، والرازق إذا شاء، وهو سبحانه يفعل ما يشاء، لا مكره له، والحديث فيه الحث على العزم في المسألة والجزم فيها، دون ضعف أو تعليق على المشيئة، وإنما نهى عن التعليق على المشيئة لأنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه إلى الإكراه، والله ﷻ لا مكره له، كما نص عليه الرسول ﷺ هنا[2].

5 ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللّهم يا مصرف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك**»[3]. والشاهد قوله: «**كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»، ومعناه أنه ﷻ متصرف في قلوب عباده كلهم، فيهدي ويضل كما يشاء، ففيه دلالة على مرتبة المشيئة[4].

6 ـ وقد أقر النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ حين أجابه بعد سؤاله له هو وفاطمة بقوله: «**ألا تصليان؟**» فأجابه بقوله: أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، قال علي: فانصرف حين قلت له ذلك، ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخذه وهو يقول:

---

(1) فتح الباري (11 / 139) مسلم رقم 2678.
(2) شرح النووي على مسلم (17 / 7.6)، فتح الباري (11 / 140).
(3) مسلم، ك القدر رقمه 2654 (4 / 2045).
(4) شرح النووي على مسلم (16 / 204).

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54] [1].

ففي هذا الحديث إثبات لمشيئة الله ـ تعالى ـ وأن العبد لا يفعل شيئاً إلا بإرادة الله وأما انصراف النبي ﷺ وضربه فخذه، واستشهاده بالآية، فمعناه: أنه تعجب من سرعة جوابه وعدم موافقته له على الاعتذار بهذا، ولهذا ضرب فخذه[2].

7 ـ كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللّهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[3].

وهذا تحقيق لوحدانيته لتوحيد الربوبية خلقاً وقدراً وبداية وهداية هو المعطي المانع لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولتوحيد الإلٰهية شرعاً وأمراً ونهياً[4]. وفي هذا الحديث: فيه من التفويض إلى الله تعالى والإذعان له والاعتراف بوحدانيته والتصريح بأنه لا حول ولا قوة إلا به وأن الخير والشر منه والحث على الزهادة في الدنيا والإقبال على الأعمال الصالحة[5].

8 ـ وقال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك واستعن**

(1) فتح الباري (3 / 10) مسلم رقم 775..
(2) شرح النووي (4 / 2045).
(3) مسلم رقم 771.
(4) مجموع الفتاوى (14 / 376).
(5) شرح صحيح مسلم للنووي (4 / 195 ـ 196).

بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[1].

ففي الحديث حث رسول الله ﷺ على الإيمان بمقادير الله وبمشيئة الله وإرجاع ما يقع للعبد إلى مشيئة الله: **«وما شاء فعل»** فيه إثبات المشيئة لله تعالى[2].

9 ـ وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل على أعرابي يعوده فقال: **«لا بأس عليك طهور إن شاء الله»**، قال الأعرابي: طهور، بل هي هي حمى تفور على شيخ كبير، تُزيره القبور، قال النبي ﷺ: **«فنعم إذاً»**[3].

وهذا الحديث استدل به البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد علي إثبات مشيئة الله ﷻ، كما هو واضح في تخريج الحديث، حيث بوّب له باب: في المشيئة والإرادة.

والشاهد منه قوله ﷺ: **«إن شاء الله»**. فجعل كون هذا المرض الذي أصيب به المريض طهوراً من ذنوبه ومكفراً لها مقيداً بمشيئة الله تعالى وفوض ذلك فإن شاء الله تعالى جعله كفارة وطهوراً فهو يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير[4].

---

(1) مسلم رقم 2664.
(2) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار (2 / 883).
(3) البخاري، ك التوحيد رقم 7032.
(4) المباحث العقدية (2 / 884).

10 ـ وفيما يقال عند دخول القبور ما ورد عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللّهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[1].

والأحاديث الدالة على مرتبة المشيئة والإرادة كثيرة جداً.

رابعاً: مرتبة الخلق:

وهو الإيمان بأن الله ﷻ خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرّة في السماوات وفي الأرض إلا والله ﷻ خالقها وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره ولا ربّ سواه[2]. ومن الأدلة من القرآن:

1 ـ قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: 95، 96]. أي خلقكم وعملكم، فتكون ما مصدرية، وقيل: إنها بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم وهو الأصنام[3].

وقد ذكر ابن كثير القولين ثم قال: وكلا القولين متلازم والأول أظهر[4]، وقد علل ذلك بما يؤيده من رواية البخاري في أفعال العباد

(1) مسلم، رقم 974.
(2) معارج القبول (3 / 940).
(3) زاد المسير في علم التفسير (7 / 70).
(4) تفسير ابن كثير (7 / 22) القضاء والقدر، ص: 77.

عن حذيفة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته وتلا بعضهم عند ذلك** ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصّافات: 96] **فأخبر الصناعات وأهلها مخلوقة**»[1]، فالله ـ تعالى ـ خالق الخلق وأفعالهم كما دلت على ذلك، الآية والحديث[2].

2 ـ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرّعد: 16] ، وفي آية أخرى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [غافر: 62].

وهذه نصوص واضحة في الدلالة على مرتبة الخلق، وقد جاءت الآية الأولى في معرض إنكار أن يكون للشركاء خلق كخلقه ﷻ، فنفى ذلك سبحانه آمراً رسوله أن يقرر هذه الحقيقة التي تفصل في الأمر، وتدل على وحدانية الله ـ تعالى ـ وانفراده بالخلق والرزق ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:16]، وفي موضع آخر جاءت هذه الآية لبيان قدرة الله ـ تعالى ـ وكماله ودلائل وحدانيته: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزُّمَر: 62]، أما الآية الثانية فقد جاءت أيضاً لبيان قدرة الله التامة، حيث جعل لعباده الليل والنهار ثم بيّن سبحانه أنه خالق كل شيء[3].

3 ـ وقال تعالى: ممتناً على الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بعد أن أمرهم بالتثبت في خبر الفاسق قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ

(1) تفسير ابن كثير (7 / 22) القضاء والقدر، ص: 77.
(2) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، ص: 77.
(3) المصدر نفسه، ص: 78.

وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ [الحُجرَات: 7] .

والشاهد قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ...﴾ فهو سبحانه هو الذي حسنه بتوفيقه وقربه منكم، وهو الذي جعل ما يضاد الإيمان من الكفر والفسوق والعصيان مكروهاً عندكم وذلك بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر وعدم إرادة فعله، فالفاعل في كل ذلك هو الله تعالى[1].

وهناك آيات كثيرة تدل على أن الله ـ تعالى ـ هو المضل والهادي، والمؤيد لعباده المؤمنين، والهازم لأعدائهم وأنه المضحك والمبكي، والمميت والمحيي، وكل ذلك دليل مرتبة[2] الخلق.

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الدعاء في تفسيره آية الحجرات السابقة ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الحُجرَات: 7] قال: لمّا كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال ﷺ: **«استووا حتى أثني على ربيّ»** فصاروا خلفه صُفُوفاً: فقال النبي ﷺ: **«اللّهم لك الحمد كله، اللّهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما بعدت، ولا مباعد لما قربت، اللّهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللّهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللّهم إني أسألك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللّهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما**

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان (9 / 74).
(2) القضاء والقدر، المحمود، ص: 79.

منعت، اللّهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللّهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللّهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللّهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إلٰه الحق»[1]. فترى في هذا الحديث الإقرار بأن الله ـ تعالى ـ هو الفاعل لهذه الأمور، وهذا دليل على مرتبة الخلق[2].

أدلة هذه المرتبة من السنة:

1 ـ عن زيد بن أرقم ﷺ قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: **«اللّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللّهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»**[3]..

الشاهد قوله: اللّهم آت نفسي تقواها وزكاها؛ فالفاعل هو الله تعالى فهو الذي يطلب منه ذلك، ولفظ خير ليس للتفضيل، بل لا مزكي للنفس إلا الله، ولهذا قال بعد ذلك أنت وليها ومولاها[4]، فهو سبحانه الملهم للنفس الخير والشر.

قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: 8].

---

(1) مسند أحمد (3 / 4224) السنة لابن أبي عاصم رقم 381.
(2) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، ص: 80.
(3) مسلم، ك الذكر والدعاء رقم 2722 (4/ 2088).
(4) شرح النووي على مسلم (17 / 41).

قال سعيد بن جبير في تفسير هذه الآية: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: 8] أي: فالخلق لله والإنسان قادر على سلوك أيهما شاء ومخير فيه، وقال ابن زيد في معنى الآية: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها بالفجور[1].

2 ـ وعن البراء بن عازم ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بَغَوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا[2]

وفي رواية أخرى للبخاري: «**ولا تصدقنا ولا صلينا**»[3]، بدل: ولا صمنا ولا صلينا، وبهذه الرواية يستقيم الوزن، قال ابن حجر: وهو المحفوظ[4]. ودليل هذه المرتبة قوله: لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فإنها دليل على أن الله هو خالق العباد وأفعالهم ومنها: الهداية، والصدقة، والصلاة[5].

3 ـ وعن ورّاد مولى المغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إليّ ما سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة، فأملى عليّ المغيرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة: «**لا إله إلا**

(1) زاد المسير، ابن الجوزي (9 / 140).
(2) فتح الباري (11/ 516).
(3) المصدر نفسه (7/ 399).
(4) المصدر نفسه (11/ 516).
(5) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، ص: 83.

الله وحده لا شريك له، اللّهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[1].

الشاهد قوله: اللّهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت فالمعطي والمانع هو الله تعالى، فهو الفاعل لهما، وهذا يدل على أن الخالق هو الله ﷻ.

وقوله: «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» أي: لا ينفع ذا الغنى منك غناه، أو لا ينجيه حظه منك، بل ينفعه عمله الصالح[2].

4 ـ وقد قال ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ: «**يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة**»، فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «**قل: لا حول ولا قوة إلا بالله**»[3]. والشاهد قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله، ففيها الاعتراف بأنه لا صانع غير الله، ولا راد لأمره وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً، فمعناها: لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى، وقيل معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعة الله إلا بمعونته، وحُكِيَ هذا عن ابن مسعود ﷺ وكله متقارب[4]، والكنز هنا: معناه ثواب مُدَّخر في الجنة عند الله وهو ثواب نفيس[5].

---

(1) فتح الباري (2 / 325).
(2) القضاء والقدر، المحمود، ص: 81.
(3) فتح الباري (11/ 500).
(4) شرح النووي على صحيح مسلم (17/ 26.27).
(5) المصدر نفسه (17/ 27).

5 ـ وعن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ: أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين**» وإذا سجد قال: «**اللّهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين**»[1].

ففي الحديث: دلالة على أن الله فطر السمٰوات والأرض أي: خلقهن وأبدعهن وأتقن صنعهن وأوجدهن من العدم على غير مثال سابق، فخلقه سبحانه لهذا الكون من أرض وسموات وما فيهن من رطب ويابس ومخلوقات عجيبة أكبر دليل على هذه المرتبة وأن الله يخلق الخلق بقدرته على ما اقتضاه علمه السابق ومشيئته النافذة[2].

6 ـ قال ﷺ: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللّهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»، قال: «**ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**»[3].

والحديث يدل على شيء مما خلق الله تعالى وهو خلق الإنسان وما احتواه هذا المخلوق من أعضاء وأجهزة يعجز الإتيان بمثلها إلا من هو خالق كل شيء سبحانه فالناظر في نفسه ودقة تكوينها وعجيب

(1) مسلم، ك، صلاة المسافرين رقم 771.
(2) المباحث العقدية (2/ 886).
(3) البخاري، ك الدعوات رقم 5947.

خلقتها يؤمن بأن الله خالق كل شيء[1]، فتضمن هذا الاستغفار الاعتراف من العبد بربوبية الله وإلٰهيته وتوحيده والاعتراف بأنه خالقه، العالم به إذ أنشأه نشأة تستلزم عجزه عن أداء حقه وتقصيره فيه[2].

(1) المباحث العقدية (2/ 886).
(2) مدارج السالكين (1/ 221).

obeikandl.com